

العنوان:	فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	خميس، لطيفة على محمد
مؤلفين آخرين:	محمد، الشفيق الماحي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2015
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 188
رقم MD:	831373
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة النيلين
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	فلسفة الحب، الحب في الإسلام، ابن حزم الأندلسي، علي بن احمد بن سعيد، ت. 456 هـ، التراجم، فلسفة ابن حزم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/831373

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

خميس، لطيفة على محمد، و محمد، الشفيق الماحي. (2015). فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي
(رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة النيلين، الخرطوم. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/831373>

أسلوب MLA

خميس، لطيفة على محمد، و الشفيق الماحي محمد. "فلسفة الحب عند ابن حزم الأندلسي" رسالة
دكتوراه. جامعة النيلين، الخرطوم، 2015. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/831373>

لاحرق بعضها باشبيلية ومزقت علانية ، لا يزيد مؤلفها في ذلك الا بصيرة في نشرها وجدالا للمعاندة فيها الى ان مضى لسبيله) . (48)

الفصل الثاني

تعريف الحب

المبحث الأول: الحب

المطلب الأول : الحب في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: ما قيل في الحب

المبحث الثاني: مفهوم الحب عند الإسلاميين

المطلب الأول: مفهوم الحب عند الإسلاميين

المطلب الثاني: نظرة الامام ابن القيم الجوزية للحب

المبحث الثالث: موقف الامام محمد بن داود الظاهري من الحب

المطلب الأول :موقف الامام محمد بن داود الظاهري من الحب

المطلب الثاني: معنى الحب عند ابن حزم

الفصل الثاني

المبحث الأول

الحب

إن موضوع العلاقات الانسانية موضوع قديم تناولته الكتاب والبحاث كلاً حسب اتجاهاته واتجاهات الموضوع الذي كتب فيه ، ونظراً إلى أن الإنسان مدني بطبعه وكائن اجتماعي فهو محتاج إلى بني جنسه لسد حاجاته الطبيعية ومعاونته على ضروريات الحياة ، وبما أن المجتمع الإسلامي مجتمع متميز ، في عقائده ومبادئه ، ونظمه ومناهجه ، وقيمه وأخلاقه ، فقد حرص الإسلام على توطيد العلاقات الانسانية بصورة عامة وبين الرجل والمرأة قبل وجود أي رابط شرعي بصورة خاصة ، وحكم هذه العلاقة في الشرع ، لذلك نزلت الديانات السماوية لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة ونظمت كذلك الأعراف والتقاليد التي تسيّر هذا النوع من العلاقات الإنسانية.

وقد وجد أول ارتباط بين الرجل والمرأة في المجتمع البشري مع أول ارتباط بين آدم وحواء ، ثم اتصال ذريتهم جيلاً بعد جيل ، وفق أنظمة محددة .

وسيرة رسولنا الكريم مع زوجاته في رقة تعامله وحبه وتلطفه خير دليل على الرقة والدفع والمودة في الحب في الإسلام فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تعرف بحبيبة رسول الله ، وكان المسلمون جميعاً يعرفون حب رسول الله الشديد لها ، وكانت السيدة عائشة تسأله عن حبه لها فتقول [يا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كيف حبك لي؟ قال : كعقدة الحبل، قالت : فكنت أوقل له : كيف العقدة ؟ فيقول : على حالها] وكانت فاطمة إذا ذهبت تذكر عائشة عند رسول الله يقول لها : يا بنية إنها حبيبة أبيك أو أنها حبيبة أبيك ورب الكعبة (49).

49 - كلها عن عائشة وعلي الترتيب: حليت الأولياء ، اختلاف الحديث للشافعي ، الاحاد والمثاني لابن أبي عاصم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي بنفسه ويقول لعائشة ويعلم الرجال كلهم (إني لأعلم إذا كانت عني راضية ، وإذا كانت علي غضبة ، قالت: فقلت ومن أين تعرف ذلك ؟ قال أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين . لا ورب محمد ، وإذا كانت غضبي : قلت لا ورب ابراهيم قالت: قلت : أجل ، والله يا رسول الله ما أهرج إلا أسمعك) (50).

والإسلام لم ينكر الحب بل حاول اثراؤه من خلال الزواج والعفة والطهارة وقد فرق بين الحب والجنس وذكر الجنس في مواضع عدة منها فاسماه باسماء عدة لكل وضع ما يناسبه ، فقال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) (51) وهنا بمعنى قضاء الوطر .

وذكر أيضاً بأسماء الرفث (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (52) وأسماءها الملامسة فقال (أَوَلَمْ تَسْتُمِ النِّسَاءَ) (53) وكذلك بمعنى الافضاء (وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) (54) .

وذكره بأسماء عدة وتحدث عن الاستمتاع الحلال وعن ممارسة الجماع المحرم وأسماء الفاحشة والزنا وأورد عقوبته والبغى واللواط وكل اصناف المخالفات وتحدث عن المحيض والطهر والتطهر .

وأنه لا حرج في طلب الاستمتاع ما دام لا يخالف شرعاً وهذا دليل علي إن ديننا الاسلامي دين شامل بكل متطلبات الحيا وتلك هي سماحة الاسلام.

ولقد درج العرب من قديم الزمان ، بتسمية الحب الشريف الطاهر بالحب العذري (55) ويردونه بذلك الي قبيلة عذره *، تلك القبيلة التي ما برح العرب قبل الاسلام

50 - صحيح مسلم ، عن عائشة

51 سورة الاحزاب الآية (37)

52 سورة البقرة الآية (223)

53 سورة النساء الآية (43)

54 سورة النساء الآية (21)

55 الحب العذري ، الحب العفيف الطاهر ، يوسف الشريف ، المختار من اللغة والعلوم ، المؤسسة العامة للثقافة 2010 ، ط 1 ، ص 403 .

*بني عذرة هم بطن من قضاة التي يصل نسبها الي حمير اليمنية او معد العدنانية ، ويعرفون ببني عذرة بن سعد هذيم بن ليث بن سود بن اسلم بن الحافي بن قضاة وكانوا ينزلون بوادي القري وهو واد بين المدينة والشام ، كامل الشيبني ، الحب العذري ، الدار الوطنية بغداد 1985 ، ص 30 .

وبعده يتحدثون عن عشاقها ومحبيها ويكتبون قصصهم حتي إنه سئل رجل ذات مرة : ممن انتم؟

فأجاب : «من قوم إذا أحبوا ماتوا» ،ف قيل له : « انت من بني عذرة إذا ورب الكعبة »⁽⁵⁶⁾

وقال اخر يصف حال قبيلته :لقد تركت بالحي ثلاثين رجلاً قد خامرهم السل وما بهم من داء إلا الحب .

فقد تميزوا برقعة العاطفة ورهافة القلب وفرط الصبابة بصفات امتازوا بها عن غيرهم ،والجمال انفردت به نساؤهم ⁵⁷.

ولعل هذا الولع بالعشق ما دفع أحدهم لأن يلوم رجلاً من بني عذره ويقول له :

ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير ،تذوب كما يذوب الملح في الماء اما تجلدون ؟

فرد عليه الرجل قائلاً : « إنا لننظر الي محاجر أعين لا تتظرون اليها » ⁽⁵⁸⁾

وكأنه يلتبس مخرجاً من أن نساءهم السبب وبأن سحر أعينهن هو الذي يطلق شرارة البدء ويملك اللب والخاطر .

والحب عند العرب مقرون بالنقاء والشرف فلم يذكر أن ذاع صيت عاشق هتك ستر العفاف وانما برز فيهم عشاق شطح بيهم الحب ودفعهم الي أن يبالغوا ويفشوا سر عواطفهم وتجدهم اشرف الناس ،ومنها قصة عروة وعفراء ، قيس ولبنى وغيرها من القصص الخالدة والمتواترة حتي الآن .

وقد استخدم مصطلح الحب بمعاني عدة مختلفة ، والذي يميز الحب الذي يربط بين الرجل والمرأة عن الانماط الاخرى هو عنصر الجنس ، إلا أن الجنس لا يقوم بصورة كلية على أساس فسيولوجي ، فهو أكثر من ذلك ، لأنه يتشعب خلال حياة

56 - الشيببي ، المرجع السابق ، ص 31-32 .

57 - العربي حسن درويش ، قضية الحب العذري ، مكتبة النهضة المصرية بلا ت ص 51 .

58 - كامل الشيببي ، مرجع سابق ص 31-32 .

الفرد كلها . ولكن في الحب الرومانتيكي ، وهو الحب الذي " تقع فيه " ويؤدي الى الزواج ، هناك تركيز للأهتمام على الشخص الآخر كمحور للدوافع البيولوجية ، وكوسيلة للراحة من التوتر البيولوجي (59) والغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها فإن لم يكن لها متنفس عن طريق نظيف تمردت وطغت ، ونزعت بالإنسان إلى شر منزع ، فالزواج أحسن وضع طبيعي حل لها ، وهذا محور فلسفة الحب عند ابن حزم الاندلسي ، فالزواج هو ثمرة الحب العفيف .

إذا ما ماهية هذا الحب ؟ وما هي درجاته ومداويلاته ؟

لقد وردت تعريفات عدة للحب ويصور المسعودي* موقف الناس من الحب وفهمه فيقول : " وذهب بعض الأطباء إلى أن العشق طمع يتولد في القلب ، وتجتمع إليه مواد الحكمة ، فإذا قوي زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج في الفكر والأمانى ، ويبس الدماغ ، وذلك أن التماذي في الطمع للدم محرق ، فإذا احترق استحال الى السوداء ، فإذا قويت جلبت الفكر فتستعلي الحرارة وتلتهب الفراء ، ثم تستحيل سوداء ، وتصير مادة لها ، فتقوى طباع السوداء ، فتختلط الكيموسات ، فحينئذ يشتد ما به ، فيموت أو يقتل نفسه ، وربما شهق فتخفى روحه أربعاً وعشرين ساعة فيظن أنه مات فيصير حياً ، وربما تنفس الصعداء ، فتخفى روحه في تأمور قلبه ، وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت ، وربما ارتاج وتشوق ونظر الى من يحب فجأة ، وقد يرى العاشق إذا سمع ذكر من يحب ، كيف يموت دمه ويحول لونه " (60) .

قال أبو بكر الوراق *: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟

59 - سناء الخولي ، الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة العربية بيروت ، 1984 ، ص 179 .
*المسعودي هو ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من اهل المغرب له كتاب مروج الذهب ، ومعادن الجوهر وذخائر العلوم انظر الفهرست ص 188 .

60 - المكتب العالمي للأبحاث ، الحب عند العرب ، مرجع سابق ، ص 15 .
*الوراق هو ابوبكر محمد بن عمر الوراق الترميذي ، يلقب بالحكيم ، أحد علماء اهل السنة والجماعة في ق 3 هجري توفي 240 هـ ، طبقات الصوفية ، ابو عبد الرحمن السلمي دار الكتب العلمي ط 1 2003 ، 178 الي 183 .
*الراوي هو ابو القاسم حماد بن سابور بن مبارك الشيباني المعروف بالراوي ولد سنة 95 هجري ت 155 هـ / 713-771 م ، سير اعلام النبلاء ، محمد الذهبي ، ج 6 مؤسسة الرسالة 2001 ، ص 185 .

فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلق حاصر للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حماد الراوية* - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذكر ، وأغصانها السهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية .

وقال معاذ بن سهل : الحب أصعب ما ركب ، وأسكر ما شرب . وأقطع ما لقي ، وأحلى ما أشتهى ، وأوجع ما بطن ، وأشهى ما علن .

المطلب الأول : الحب في اللغة والاصطلاح :

يعرف الحب لغة بأنه نقيض البغض ، والحب الوداد والمحبة⁽⁶¹⁾

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة :-

الحب ، الحاء والباء المضاعفة أصول ثلاثة ، أحدها يدل على اللزوم والثبات ، والآخر على الحبة من الشي . ذي الحب والثالث وصف القصر⁽⁶²⁾

أما اللزوم فالحب والمحبة مشتقان من احبه إذا لزمه والمحبة البعير الذي يحسر (يحرن يعاند) من اللزوم فيلزم مكانه

اما في معجم المصطلحات العربية :- فيعرف الحب بأنه مجموعة قواعد تواضع الناس عليها في أواخر العصور الوسطى بأوربا ، خاصة بما ينبغي ان يتبع من سلوك في مغازلة الفرسان أو الشعراء لكرائم السيدات ويقرب من هذا الهوى العذري عند العرب⁽⁶³⁾

61 - ابن منظور ، لسان العرب، مرجع سابق ، ص 289 .

62 - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ص 26 .

63 - مجدي وهبه وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية، ج1، الكتب الحديثة ، بيروت ، 1979 ، ص 81 .

والحب : نقيض البغض وهو الوداد (64) ، والبغض عبارة عن نفرة الطبع من الشيء المؤلم والمتعب (65)

وقيل الحب ما يعلو الماء عند المطر الشديد ، فعلى هذا : المحبة هي غليان القلب وثورانه عند العطش والإحتياج إلى لقاء المحبوب (66)

ويتصاعد الحب حسب نوعه وشدته وفيه أنواع كثيرة منها : (67)

1- الحب الجنسي: حيث يرتبط الحب بالدافع الجنسي فهو يعمل على استمرار التآلف بين الزوجين لاستمرارية حياة الأسرة وفي هذا الشأن يقول سبحانه وتعالى .
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقنطير المقنطره من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعم والحرث (68)

وقد أشار القران الكريم إلى ارتباط الدافع الجنسي بالحب في قوله . وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا (69)

2- الحب الاسري : أي حب الاءاء للاءاء حيث ان الاءاء مصدر متعه وسرور للاءاء يقول الله تعالى . المال والبنون زينة الحياة الدنيا (70) ، وقوله . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شييا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدونك وليا ، يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا (71) ، والحب الأخوى بين الأخوة على الحقيقة أو على المجاز (72) .

3- حب الاخرين : أي حب الناس مصداقاً لقوله تعالى : ۞ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

64 - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، 1974م ص 439 .
65 - عبد المنعم الحفنى ، المعجم الفلسفي ، ج ، دار الكتب الحديثة ، بيروت ، 1990م ، ص 95 .
66 - معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، ج 1 ، ط 1 ، معهد الانماء العربى 1986 ، ص 350 .
67 - سعد رياض ، علم النفس فى القران الكريم ، مؤسسة اقراء ، 2004م ، ص 134 - 136 .
68 - سورة آل عمران ، الآية 14 .
69 - سورة يوسف ، الآية 30 .
70 - سورة الكهف ، الآية 46 .
71 - سورة مريم ، الآية 4 - 6 .
72 - محمد الهادى عفيفى ، موسوعة الحب والجنس ، ط 1 ، هلا للنشر والتوزيع ، 2008م ، ص 7 .

إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (73).

4-حب الحب : وهو حب فلسفي وفيه يحب الحب لنفسه دون منفعة او مصلحة مثال ذلك حب قيس وليلي ،وعروة وعفراء ،وجميل وبثينة ، وكثير وعزة ،وقيس ولبنى وغيرها من ابطال الحب العذري .

5-حب القيم :ومنها الحق والخير والعدل والجمال .

6-الحب الايثاري : وهو حب الآخرين علي اختلاف قربهم وصلتهم .

7-حب الحبيب : مثل حب ابوبكر الصديق للرسول الكريم ، يقول الله تعالى : [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] (74)، وكذلك العشق الالهي كعشق رابعة العدوية (ت 185 هـ - 101م (75) ،والتي انشدت ابيات اوردت فيها مدي عشقها للذات الالهية جاء فيها :

إحبك حبين حب الهوي	وحباً لآنك اهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوي	فشغلي بذكرك عن سواكا
واما الذي أنت اهل له	فكشفك لي الحجب حتي أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (76)

المطلب الثاني: ما قيل في الحب

73 - سورة ال عمران ، الاية 103 .

74 - سورة الاحزاب ، الاية 21 .

75 - كامل مصطفي الشبيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ،دار الاندلس ، بيروت 1982 م ،ص 321 .

76 -عبدالرحمن بدوي ، شهيدت العشق الالهي ، دار النهضة المصرية ، 1946 ،ص 79 .

يلابس الحب وفي الاغلب جانباً من التعقيد في تكوينه ومظاهره والوانه وتقلباته ، ويرجع السبب في هذا التقلب الى طبيعة الحب نفسها حيث يلبس النفس البشرية . فيوجه تصرفاتها ويتحكم في مصيرها الاخلاقي والسياسي والاجتماعي والمرأة في الحب اكثر تعقيداً وتقلباً من الرجل ، كون الحب لا يتحكم فيه ولا يستحوذ عليه ، لأن الحب هو عالم المرأة الدافي ، وتظل المرأة مرتبطة بالحب ويظل الحب عالقا بها ، وقت تنازع الناس في ابتداء وقوع الهواء وكيفيته ، وما علة وقوعه بعد ان لم يكن ، وزواله بعد كونه ؟ وهل لك فعل النفس الناطقة ، او من فعل الجسم وطباعه ؟ وهل ذلك من نظر وسماع ، واختيار واضطرار .

واحترار الناس واختلفوا في تحديد ماهية الحب ووصفه وتعريفه ، من منا لا يعرف الحب ، ولكن كم منا يستطيع ان يصفه ويعرفه ويحيط به من اطرافه وظواهر وخفائيه ، فالتفكير في الحب شي ، ومعاناته شي اخر ، واذا أردنا تعريفه اعيانا ذلك وان شئنا تحديده اخفقنا في الاحاطه به وبأحواله فهو من أسهل الاشياء حيث نشعر به ، ومن أصعب الاشياء وصفاً حيث نقدم على وصفه ، نتفتح له قلوبنا فتستقبله ويبعث فينا الامل والاحلام فنعيش مبتهجين ، وأحياناً يبعد بيننا وبين الامل فيعلق نفوسنا ويتركنا في حيرة من أمرنا وكل هذا وذاك من أعمال الحب واثاره فتتجه النفس الانسانية الى الاتصال بمن تحب من الجنس الاخر اتصالاً تتحد دوافعه واهدافه وتختلف وسائله ونتائجه تبعاً لاختلاف الشخصيات ، وقد ذكر بعض الإعراب تعريفات متنوعة عن الحب نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر بعضاً منها :

فقال يحيى بن اكثم عن العشق أنه " سوانح تسنح للمرء فيهتم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه " (77) .

وقال ثمامة : " العشق جليس ممتع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مالك ، وملك قاهر . مسالكة لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة . ملك الأبدان وأرواحها ،

والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأعطي عنان طاعتها ، وقياد ملكها ، وقوى تصرفها . توارى على الأبصار مدخلة ، وغمض في القلوب مسلكه (78) .

وقال المأمون ، وكان من كبار المفكرين :

- إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة ، نتجت لمح نور ساطع ، تستضيء به بواصر العقل ، ويتصور من تلك اللوامح ، نور خاص بالنفس ، متصل بجواهرها يسمى عشقاً .

ويروى عن يحيى بن معاذ ، وهو من كبار الفقهاء في الدين ، أنه قال : " لو كان إلي من الأمر شيء ، ما عذبت العشاق ، لأن ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار " (79) .

وقال الجاحظ :

" العشق داء لا يملك دفعه وهو داء يصيب الروح ، ويشتمل على الجسم بالمجاورة ، كما ينال الروح الضعف من البطش . والوهن في المرء ينهكه ، وداء العشق وعمومه في جميع البدن بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم ، وصعوبة دوائه يأتي من قبل اختلاف علله " (80) .

بيد أن هذه الفكرة ، فكرة اضطرارية الحب ، وأنه " داء " لا شفاء منه ، ترقى الى عهود الحب العذري ، الى الجاهلية ، الى ثقافة الأعراب ، والرواة الذين أوردوا من كلام الأعراب في هذا الموضوع ، يتفقون على هذه القضية ، وهي ان العربي كان يجد نفسه " عاشقاً " ولا يعرف كيف ، ولا يجد السبيل الى التخلص منه قال اعرابي : " العشق أعظم مسلكاً في القلب من الروح في الجسم ، وأملك بالنفس من ذاتها .

78 - المرجع نفسه ، ص 23.

79 - الحب عند العرب، مرجع سابق ، ص 24 .

80 - المرجع السابق ، ص 24 .

بطن وظهر ، فامتنع وصفه عن اللسان ، وخفي نعته عن البيان ، فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكمون " (81) .

وقال أعرابي آخر في وصفه : " بالقلب وثبته ، وبالفؤاد وجبته ، وبالأحشاء ناره ، وسائر الأعضاء خدامه ، فالقلب من العاشق ذاهل ، والدمع منه هامل ، والجسد منه ناكل ، مرور الليالي تجددته ، وإساءة المحبوب لا تقسده " .

وقالت أعرابية : " ليس الهوى الى الرأي فيملكه ، ولا الى العقل فيدركه " (82) .

وقد اخفق كل من حاول تحديد ماهيته وحصره في كلمات ، لإن الحب تجربة ذاتية شخصية تختلف في قوتها وشدتها وظروفها من شخص لآخر

فالحب شي مباح وليس بمحرم فلا يَأْثَمُ من أحب امرأة ولا تأثم من تحب رجل الا ان هناك بعض الضوابط الشرعية لذلك لا يجوز التحايل عليها او الخروج عن الاعتدال فيها ، وان تكون العلاقة فيما بينهم لا يتخللها النزوات والشهوات والافعال المحرمة وان يكون الحب عفيفا عما يغضب الله عز وجل ومن هنا كانت انطلاقة ابن حزم في توضيح معنى الحب في الشرع أي من خلال القران الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

81 - المرجع نفسه ، ص 24 .

82 - موسوعة الحب والجنس ، المرجع السابق ، ص 24 .

المبحث الثاني

المطلب الأول: مفهوم الحب عند الإسلاميين

كان مفهوم الحب في الفكر الإسلامي موزع بين ثلاث محاور بوجه خاص محاور الأدباء في شعرهم ونثرهم ، ومحور الفلاسفة نظريتهم لمراتب الوجود أو إشكالية الفلسفة الخلقية ، ومحور المتصوفة الذين جمعوا في تفكيرهم بين الأدب والفلسفة والحب الإلهي ، وقد تأثرت هذه المحاور بعدة عوامل أبرزها موقف الإسلام منه ، إذ ربط الإسلام بين الحب والعفة وجعلهما مفهوماً واحداً ، ثم تطور البحث في دراسة هذه الظاهرة في رؤية كلية متعمقة لحقائق الحياة الإنسانية وأفضل مدخل هو قول رسول صلى الله عليه وسلم "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " رواه ابو مسلم

وفي ثرات الفكر الإسلامي نجد مجموعة من الكتاب والمؤلفين كتبت في مفهوم قيمة الحب فكان الشعر اسبق من النثر فيتناول ظاهرة الحب ، وأما الفقهاء وعلماء الدين فقد كانوا بعيدين عن تناول موضوع الحب والعشق وذلك بحكم مكانتهم الدينية وتكوينهم العلمي والفكري إضافة إلى أنهم كانوا يراعون الحالة النفسية والذهنية وان تحدث الفقيه عن هذا الموضوع كان في نظرهم خارجاً عن الرزانة والرصانة الفقهية ومخالفاً لرداء الوقار والهيبة الدينية .

ولأجل ذلك اتهم ابن حزم بالزندقة والانحراف في الفكر عندما الف كتابه طوق الحمامة في الالف والالاف فحسبوه كتاب دعارة ومجون وكان اشتغاله بهذا اللون من الدراسة في نظر المتحاملين مدعاة للأسف والعجب ، وهاجمه كثير من الفقهاء واتهموه بأنه يحرض الشباب على المنكرات وعلى الفجور .

ولم يكن الفقهاء المنحدرون من أصول عربية هم وحدهم الذين سخطوا على الطوق بل انكره البربر ايضاً ذلك انه قال عنهم (إن في بلاد البربر التي تجاور اندلسنا يتعهد الفاسق على انه إذا قضى وطره ممن أراد أن يتوب إلى الله ، فلا يمنع من

ذلك ، وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له : أتحرم رجلاً مسلماً التوبة
(83) .

ولهذا أصبح من النادر أن يتحدث الفقهاء عن الحب والغرام ، فقليل جداً من الفقهاء
من فعل ذلك ، وهم على قلتهم كانوا متوجيسين من ردة الفعل وقد توقع ابن حزم
قبل كتابته هذه الرسالة من ردة الفعل فقال :

في كتابه طوق الحمامة " وأنا أعلم انه سينكر على بعض المتعصبين تأليفي لمثل
هذا يقول : " انه خالف طريقته ، وتجافى عن وجهته ، وما أحل لاحد أن يظن في
غير ما قصدته (84) قال الله عز وجل : يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيراً من الظن
إن بعض الظن إثم (85) .

ولم يأتوا الباحثين بجديد في درس الحب بل جمعوا ما قيل فيه ، ورووا ما تنهى
الى اسماعهم من أحاديث العشاق واخبارهم ، وفيهم من عني بذكر تجاربه
الشخصية في الموضوع ، فكان اكثر ذاتية من غيره ممن عاصر . وهؤلاء الفقهاء
في حديثهم الحب عنوا به لبيان الرأي الشرعي في مسالك العشاق ومدي التأثير
بالصوفيين ومحبتهم للذات الالهية .

ويستأذن ابن حزم للدخول في هذا الموضوع فيذكر في اول كتابه ان الحب ليس
بمنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة ، ومن الواضح أن الامام ابن حزم
تعامل مع الموضوع كبديهية لا تحتاج الى جدل كبير ، فلم يهتم بحشد أكبر قدر من
النصوص للدفاع عنه والاستدلال عليه وإباحتة .

ونحن لا نتفق مع الذين ذهبوا الى اتهام الإمام ابن حزم بانتهاك أحكام الدين بسبب
ما أورده عن أفعال العشاق في كتابه طوق الحمامة ، لانه كما نعلم من قواعد الدين
ان ناقل الكفر ليس بكافر .

83 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق، ص 137 .

84 - المرجع السابق ، ص 178 - 179 .

85 - سورة الحجرات ، الايه 12 .

لقد كتب هذا الكتاب بروح المفكر والاديب ، كما كتبه بروح الفقه . والصفتان الاوليان تقتضيان عليه استقصاء الامور في كل ما يتعلق بالعشق ، او ما يشته به من أمور أخرى ، سواء كان هذا عفاً أم فجوراً أم ضلالاً ، وهذا ما فعله دون أن يعني ذلك موافقته على الامور الخارجة عن أحكام الدين فيما ذكره ، وكذلك فعل الامام ابن القيم في مقدمة كتابه (روضة المحبين) " إنه قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين ، وغرضاً لأسنة الطاعنين ، فلقارئه غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه " (86) .

المطلب الثاني: نظرة الامام ابن القيم الجوزية للحب :

يقول الإمام ابن القيم* في كتابه " روضة المحبين ونزهة المشتاقين " : " اختلف الناس في العشق : هل هو اختياري او اضطراري خارج عن مقدور البشر ، وفصل النزاع بين الفريقين قائلاً " أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلية تحت التكليف ، فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري ، فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره كما قيل :

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم
يطق

رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها
غرق

تمنى الاقالة من ذنبه
فلم يستطعها ولم
يستطق (87)

أي أن النتيجة المترتبة على هذه الأسباب من وقوع المحبة غير اختيارية ، ولهذا ؛ إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يُلم عليه صاحبه (فلو كانت الأسباب

86 - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق ، ص 21 .
87* ابن قيم الجوزية هو محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي الشهير بشمس الدين ابو عبيد الله ، 691هـ - 751 هـ/1292م وتوفي 728هـ من مؤلفاته بدائع الفوائد ، الجواب الكافي ، زاد المعاد ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين وغيرها انظر نهاية الأرب في فنون الادب ، أحمد عبد الوهاب النويري ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ط 1 ، 1998 ، ص 33 .

- روضة المحبين ونزهة المشاقين ، مرجع سابق ، ص 137 .

الأولى للعشق مباحة فإن وقع العشق بعد ذلك لا يُلام عليه صاحبه (كمن كان يعشق امرأته أو جاريتها ، ويُقاس على نفس الأمر من خطب امرأة أو أراد خطبتها ونظر منها ما يشجعه على خطبتها كما قال الرسول – صلعم ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يُلام على ذلك كما في قصة بريرة ومغيث . (88)

ويقول ابن القيم : إن مبادي العشق وأسبابه اختيارية داخله تحت التكليف ، فإن النظر والتفكير والتعرض للمحبة امر اختياري فإذا أتى بالأسباب كان ترتيب المسبب عليها بغير اختياره ومتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيما تولد عنه بغير اختياره .

ويتفق ابن القيم مع ابن حزم في أن الحب طبيعة وفطرة ، ومن كلامه في ذلك " ولم كان العبد لا ينفك عن الهوى ما دام حياً فإن هواه لازم له كان له الأمر بخروجه عن الهوى بالكلية كالممتع ، ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلكة الى مواطن الامن والسلامة ، مثاله : إن الله سبحانه وتعالى لم يأمره بصرف قلبه عن هوى النساء جملة ، بل أمره بصرف ذلك الهوى الى نكاح ما طاب له منهن من واحدة الى اربعة . (89)

ويذكر حجب من يمدح العشق ويتمناه ، ومن ذلك احتجاجهم بالطبع والفطرة كذا يروى عن يحيى بن معاذ الرازي إنه قيل له إن ابنك قد عشق فلان فقال : الحمد لله الذي رده الى طبعه الادمي . (90)

وقال اخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فقم فاعتلف تبنا فأنت حمار (91)

88 - المرجع السابق ، ص 137 .

89 - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق ص 24 .

90 - المرجع السابق ، ص 159 .

91 - المرجع نفسه ، ص 160 .

وابن القيم حين يورد هذه الاحتجاجات فإنه لا يرد عليها لأنه لا ينازع في كون الحب والعشق طبيعه وفطرة في النفس ولكن يحمل الانسان مسئولية ما يقع فيه من الحب والعشق .

غير أن يذم ابن القيم ما يسميه حب الشهوة ، ويقول عنه انه حب النفوس الحيوانية تلك النفوس الارضية السفلية التي لا تبالي بغير شهواتها ولا تريد سواها ، وهذا الذنب إنما هو لحب الشهوة المجرد ، وأما أن يمتزج الحب الحقيقي بالرغبة الجسدية فإبن القيم لا ينكر ذلك ، بل يرى إن العلاقة هنا تلازمية فيقول " فإذا تشاكرت النفوس وتمازجت الارواح وتفاعلت عنها الأبدان ، وطلبت نظير الامتزاج والجوار الذي بين الارواح ، فإن البدن آلة الروح ومركبه ، وبهذا ركب الله سبحانه شهوة الجماع بين الذكر والانثى طلبا للامتزاج والاختلاط بين البدنين ، كما هو بين الروحين ، ولهذا يسمى جماعاً وخلطاً ونكاحاً وإفضاء ؛ لان كل واحد منهما يفضى إلى صاحبه فيزول الفضاء بينهما ، ⁽⁹²⁾ ويشاطر ابن القيم ابن حزم الراي في إن الحب الأول أقوى وامكن في النفس .

يؤكد ابن القيم علي الحب العفيف الطاهر ، ويحذر من الانسياق الى المعصية ويستشهد بجملة وافره من النصوص والحكايات والاشعار وكلها تؤكد على ان المعصية تقسد الحب وتقسد العلاقة بين المتحابين وتولد القطيعة في الدنيا والعداوة في الآخرة ومما استشهد به ابن القيم قول نبطويه* :

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني
منه الحياء وخوف الله
والحذر

ظفرت بمن أهوى فيقنعني
منه الفكاهة والتجميش والنظر
أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم
وليس لي في حرام منهم وطر

⁹² - المرجع السابق ، ص 77 .

كذلك الحب لا إتيان معصية

لا خير في لذة من بعدها سقر

(93)

ويرى ان الوصل بين المحبين يقوي الحب ما دام في حلال وان كان في حرام فهو
يفسد الحب ويجعل المحبة تنتهي الى العداوة والبغضاء .

⁹³*نفظويه ،هو ابو عبدالله ابراهيم محمد بن عرفه بن سلمان بن المغيرة بن حبيب المهلب الازدي ولد 323،توفي 244 من مؤلفاته كتاب التاريخ ،غريب القران ،المقنع في النحو ،الامثال ،الفهرست ،ص 109- 110 .
- ابن القيم ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق، ص 299 .
*هو ابو سليمان داود بن داود بن خلف الاصفهاني اول من استعمل قول الظاهر ولد 297هـ توفي 270م من مؤلفاته كتاب الزهرة ،الفهرست،ص 267 .

المبحث الثالث

المطلب الأول :موقف الامام محمد بن داود الظاهري من الحب :-

هو أبو بكر محمد بن داود الظاهري* (297 هـ) مؤسس المذهب الظاهري الذي اعتنقه ابن حزم وجده وكان لغوياً وشاعراً كما اشتهر بفن المناظرة ومن اعماله (كتاب الزهرة)

يقول عنه الصفدي : " كان محمد يهوي فتى حدثاً من أهل أصبهان يقال له محمد بن جامع ويقال له ابن زخرف ، وكان طاهراً في عشقه عفيفاً ومن الغريب في حكايته أن محمد بن جامع كان ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان كما يقول الخطيب : معشوق ينفق على عاشق إلا هو " (94)

ولابن داود الظاهري كتاب في الحب من جزئين ، يتعلق الاول بموضوع الحب والعشق والهوى واحكامه وتصاريفه وأحواله في خمسين باب ، أما الجزء الثاني فقد خصص عن اشعار الغزل في العصرين الأموي والعباسي ، الجزء الاول قدم له المؤلف بمقدمة عرض فيها صراحة لغرامه بالفتى الصيدلاني ، فضلاً عن تبيان يأسه من تصارييف الاقدار .

يقول ابن داود : " وقد وقفتُ على ما وصفته من تصارييف الازمان ، وخيانة الاخوان واعلم – أيدك الله – إن من عجيب ما تحضره الايام ، وتحول به الاوهام ظالم بتظلم ، وغابن يتندم ، ومطاع يستظهر وغالب يستتصر . (95)

كما نقل ابن حزم عن ابن داود في مشروعية الحب وعدم مساسه بالعقيدة والشرعية . يقول ابن داود " ونحن لو شئنا أن نذكر من كتاب الله – عز وجل – ومن اخبار متقدمين من انبيائه واوليائه نجد ما يسهل سبيل الهوى على من انكرها ، ويقربها

94 - الصفدي، مرجع سابق، ص 59 .

95 - ابن داود ، الزهرة ،مرجع سابق، ص 138 – 139 .

من فهم من لم ير اثرها ، حيث لا يستوجب به من عاقل إنكار ولا يلحق بأحد من الأئمة فيه عار " (96)

أما عن إمكانية وقوع الحب من أول نظرة يقول ابن داود : " رب حرب جنيت من لفظة ، ورب عشق غرس من لحظة " (97)

وعن وقوع الحب بالسماع ، ذكر ابن داود تلك العبارة مدلاً عليها بحديث الرسول صلعم يقول : " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تتاكر منها اختلف " (98)

وعن التقاء روحي المحبين ؛ باعتبار هذا اللقاء أمراً مقدور يقول : " إن الله جل ثناؤه خلق كل روح مدورة الشكل على هيئة الكرة ، ثم قطعها أيضاً فجعل في جل جسد نصفاً . وكل جسد يقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه ؛ كان بينهما عشق للمناسبة القديمة . وتتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقة طبائعهم " (99)

وعن أنواع الحب وضروبه يقول :

يكون الحب على ثلاثة أضرب ؛ إما لإتفاق الأرواح ؛ فلا يجد المرء بدا من أن يحب صاحبه ، وأما للمنفعة ، وإما لحزن وفرح⁽¹⁰⁰⁾ .

ويمثل لذلك يقول الشاعر :

ثلاثة أحباب فحب علاقة
وحب تملاق ، وحب هو القتل

وعن صفات المحب ودلائل الوقوع في الحب ؛ يقول :

96 - المرجع السابق ، ص 41 .
97 - ابن داود، الزهرة، مرجع سابق ، ص 45 .
98 - المرجع السابق ، ص 53 .
99 - المرجع نفسه ، ص 53 - 54 .
100 - ابن حزم الاندلسي وابن داود الاصفهاني، مرجع سابق ، ص 41

" وأنت تري العاشق إذا سمع بذكر من يحب يهرب ويستحيل لونه . وإذا كان الأمر يجرى على ما ذكر ؛ فإن زوال المكروه عن هذه حالة لا سبيل إليه بتدبير الآدميين ، ولا شفاء له إلا بلطف يقع له من رب العالمين فهذا هو الداء الذي يعجز عن معالجته الأطباء " (101)

وفي تمكن العشق من العاشق ؛ يقول :

" وإذا كانت كل خواطر العاشق فيما يتمناه واقعة ممن يهواه ؛ فهذه في المشاكلة الطبيعية التي لا يفنيها الزمان ، ولا تزول إلا بزوال الانسان .. وإذا صح هذا المذهب لم يعجب من أن يميل الإنسان إلى الإنسان بخلة أو بخلتين . فإذا زالت العلة زال الهوى ، فلا يزال المرابط منتقلاً إلى أن يصادف من يجتمع فيه هواه ؛ فحينئذ يرضاه ، فلا ينعطف عنه إلى أحد سواه .. " (102)

وعن الفرق بين اللهو والحب يقول :

" فالمحبة ما دامت لهواً ونظراً فهي عذبة المبتدأ سريعة الانقضاء ، فإذا وقعت مرتبة على التمام في المصافاة ؛ تعذرت قدرة القلب على هواه ؛ فحينئذ تضل أفهام المتميزين ، وتبطل حيل المتقلبين " (103)

وعن سلو العاشق عن عشقه ؛ يقول بأنه " سلو عن العشق لا المعشوق " (104)

وعن العفة في الحب يقول :

" ... ولو لم تكن عفة المتحابين عن الادناس ، وتحاميتها ما ينكر في عرف كافتهم محرماً في الشرائع ، ولا مستقبلاً في الطبائع ، لكان الواجب على كل واحد منهما تركه إبقاء وده عند صاحبه ، وإبقاء على ود صاحبه عنده " .

وفي وجوب حفاظ المحب على صفات محبوبة وعدم البوح بها ، يقول :

101 - ابن داوود ، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 56 .

102 - ابن داوود ، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 60 .

103 - المرجع السابق ، 61 .

104 - المرجع نفسه ، ص 68 .

" ليس من الظرف امتهان الحبيب بالوصف ... فمن سامحته الايام لمحابه ، ورزق حسن الوفاء والمساعدة من أحبائه ما يجب عليه في حدود الظرف ، دون ما يجب من رعاية حقوق الإلف أن يقابل نعم الله عليه بما يوجب المزيد فيها لديه . فإن لم يفعل ذلك فلا ينبغي له أن يتعرض لأسباب المهالك . وليعلم أن وصف ما في صاحبه من الخصال المرتضاة مغر بمن علمها بالمشاركة له في هواه " (105)

وعن وصال المحبوب ؛ يقول :

" إن من هوي إنساناً فإنما قصاره حين يهواه أن يعيد النظر إليه ، فيروي من شخصه ، ويستمتع من لفظه . فإذا تهياً ذلك له وجده به أضعافاً علي ما كان في قلبه ، ثم تدعوه نفسه بعد ذلك إلى كثرة التلاقي والمواصلة " (106)

وعن العتب بين المحب والمحبوب يقول :

" من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة .. فالمعاتبة على الذنوب من المحب والمحبوب تقع من الإرتياب ليزول الشك بما يجري فيها من الجواب . ومعاتبة تقع بعد اليقين يقصد بها العاتب إلى أن يعلم هل من ذلك الذنب عذر ، أم هو أدخل في باب الغدر ، ومنها معاتبة توقيف تجري على جهة التعنيف " (107)

وعن لوعة الافتراق يقول :

" من راعة الافتراق ملكه الاشتياق .. فالترويع بالفراق هو الهم الذي لا يعدل عن مقاتل العشاق .. وربما ولعت نفوس العشاق محاذرة وقوع الفراق عن غير سبب يوجب إظهار الإشفاق . وتلك حال لا يتهيأ معها وصال " (108)

وعن الوداع بين الأحبة يقول :

105 - المرجع السابق، ص 126 .
106 - ابن داؤود ، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 141 .
107 - المرجع السابق ، 189 .
108 - المرجع نفسه ، ص 225 .

" في الوداع قبل الفراق بلاغ إلى وقت التلاق .. ذلك أن فعل الوداع وتركه نقص كله .. وذلك إن الحزم لأهل الهوى ألا يبسطوا على أرواحهم يد النوى ؛ فإن عذاب الهوى مع حضور المحبوب ينغص العيش ويجرح القلوب ؛ فكيف إذا تحكم فيه سلطان الفراق ؛ والتهمت في الضمير لوعات الاشتياق ، حينئذ تسكب العبرات وتتمكن الحسرات .. فإن كان لابد من فراق فلا يكن إلا بعد تشييع ووداع " (109) ومنهم من يصبر على الفراق يعتمد التخلف عن الوداع ؛ إشفافاً من مضاضة " (110) .

وقد أوضح علامات الحب فوصفها :

" للهوى دلالات تبين في الزفرات واللون والنظر " (111) .

ويروي ابن نفطويه عن آخر أيام ابن داود قائلاً : " دخلت عليه في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف تجدك ؟ فقال : حب من تعلم أورثني ما ترى ، فقلت : وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع على وجهين : أحدهما النظر المباح ، وآخر اللذة المحظورة . فأما النظر المباح فهو الذي أورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فقد منعي منها ما حدثني به أبي " . (112)

المطلب الثاني: معنى الحب عند ابن حزم

الحب في رأي الفقيه شي لا نستطيع أن نصفه ، ولا بد من معاناته حتى نعرفه ، والدين لا ينكره والشريعة الإسلامية لا تمنعه ، إذ ارتبطت به قلوب المحبين على الطهارة والعفة ، وصنف المحبة إلى مراتب .

109 - المرجع السابق ، ص 259 .

110 - نفس المرجع ، ص 260 .

111 - ابن داود، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 425 .

112 - المرجع السابق، ص 9 .

ويرى أن قمة الحب هي في المودة التي تحفظ النسل والذرية ، وبدون هذه الذرية يخبوا الحب ويذوي وينطفي ، وهذا النوع من الحب لا يكون إلا بين رجل وامرأة جمعهم الرحمن لتكوين أسرة وذرية

مصدقاً لقوله تعالى . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (113).

والحب حالة شخصية بين اثنين بينهم من المجانسة والتشاكل ما يكفي لميلاد الحب ، وهذا التشاكل خارج عن اختيار الانسان بحيث له القدرة على تغيير الانسان لحظة الحب وبعد التجربة ، ويحاول المحب أن يغير من نفسه وسلوكه لإثبات حالة التشاكل وهو يرفع الانسان الى قيمة اخلاقية جديدة تختلف عن اخلاقياته قبل تجربة الحب ، والحب مشاركة يسعى المحب من خلالها الى إبراز أقصى ما يملك أمام المحب ، وتتميز تجربة الحب بصفات خاصة بها نابعه من التجربة ذاتها .

والحب الحقيقي يكون لصوقاً ليس له انفكاك مهما كانت أسباب الانفصال ، ويكتسب الانسان خبرة ذات فاعلية تؤثر في النفس وتغيرها دون قسر .

والحب وسيلة وغاية في ذاته ، فهو وسيلة للزواج والسعادة . ومن حيث أنه غاية ، يجب أن يكون الحب نمطاً انسانياً رفيعاً . لا يتعدى فيه المحبون حدود هذا النمط .

وتتكون تجربة الحب من عدة أطراف :

1- المحب : هو نقطة الانطلاق في تجربة الحب ، ومشاعره اما ان تقابل بالرضى أو الرفض . (114)

2- المحبوب : هدف الفعالية ، ويتميز عن المحب بأن في يده " حرية المشاركة " أما المحب فيقاد في الغالب ، الى التجربة غير مختار ، فإذا كان المحبوب نقي

113 - سورة الروم ، الآية 21 .
114 - حامد احمد الدباس، فلسفة الحب والاخلاق عند ابن حزم ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردني ، 1993م ، ص 178 .

الصفات موافقها ، فإنه يسعى ليرتبط مع المحب ، والا فإنه يرفض فتعكس السلبيات على المحب وحده .

3- رابطة الحب ذاتها : وهي الفعالية التي تتركز في داخل المحبين ، ويمكن دراستها من حيث كيفها وكمها ، وهل هي قوية ، أم متوسطة أم ضعيفة ... ؟ عفيفة ، أم فاجرة وهل هي صادقة ، أم كاذبة .

4- الظروف المحيطة بالفعالية ، كالوسط الاجتماعي ، والثقافة السائدة ، والمحيطين بكل من المحب والمحبوب ، كالمساعدين من الاخوان والناصحين ، والسفراء الامناء .. والعذار والوشاة ، والنمامين .. (115)

حاول ابن حزم إصلاح مجتمعه من خلال ما ورد في مؤلفه طوق الحمامة ورسالته " مداواة النفوس " ورأى إن من واجبه كمفكر مسئول أن يوجه أبناء مجتمع الأندلس وأبناء العالم الإسلامي في سلوكهم الذي يجب ان يتمشى في رأيه مع تعاليم الدين الإسلامي وتقاليده لان الدين يؤدي إلى " إصلاح الاخلاق النفسية ، وإيجاد التزام حسنها ، كالعدل والجود والعفة والصدق والنجدة واجتناب سيئها " (116) وفي " إصلاح النفس ومداواتها من فسادها مداواة الجسد وإصلاحه " (117)

ويقول ابن حزم انه :

" لا يمكن البتة إصلاح أخلاق النفس بالفلسفة دون النبوة " (118)

وتلتقي الفلسفة مع الإيمان في بناء الفضائل إذ أن " الفلسفة على الحقيقة انما معناها وثمرتها ، والغرض المقصود نحوه بتعلمها هو شيئاً غير إصلاح النفس ، بأن

115 - المرجع السابق ، ص 178 .

116 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس، مرجع سابق ، ص 134 .

117 - المرجع السابق ، ص 134 .

118 - ابن حزم ، التوفيق على شارع النجاة، مرجع سابق ، ص 124 .

تستعمل في دينها الفضائل ، وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد
وهذا نفسه لا غير ، هو الغرض في الشريعة " (119)

ولأنها " مبينة للفضائل من الرذائل ، موقفة على البراهين المفرقة بين الحق
والباطل " (120)

وبالتالي تكون عامل مساعد في الاخلاق ، الا انها وحدها لا تستطيع بناء الحياة
الاخلاقية ناجحة البتة " (121) ، ولهذا أجمع الفلاسفة على أن الفلسفة عامل مساعد
في بناء الاخلاق ، إلا أنها وحدها لا تستطيع بناء حياة اخلاقية ناجحة وذلك
لإختلاف العقول في كيفية بناء حياة الاخلاقية " فذو القوة الغضبية التي هي غالبية
على نفسه ، لا يرى من ذلك ما يراه ذو القوة النباتية ، الغالبة على نفسه وكلاهما لا
يرى من ذلك ما يرى ذو القوة الناطقة الغالبة على نفسه " (122) .

ويظل الدين المصدر الاساسي للقيم الاخلاقية ، لانه منزل من الله سبحانه وتعالى
ويضمن للانسان السعادة في الدارين الدنيا والاخرة .

وتكمن اهمية المصدر الديني في كونه الموجه الفعال للسلوك الانساني، والدين
ممثلاً بالقران والحديث في كونهما دستوراً للحياة واساس الايمان وبالتالي فإن على
، من جهل معرفة الفضائل بعقله ان يعتمد على ما امره الله به وأتباع سنة رسوله
صلي الله عليه وسلم ، فانه يحتوي على جميع الفضائل .

ولا يستطيع الفرد تحقيق الحياة الخلقية الا بوسيلتين هما : الدين والعقل ويؤكد ابن
حزم ذلك بقوله " كل هذا يبطل ان يكون للعقل مجال في حظ او اباحه او تحسين او
تقبيح ، وان كل ذلك ننتظر فيه ما ورد من الله في وحيه فقط " (123)

فالإصلاح الديني هو الطريق في ذلك المجتمع لإصلاح الأخلاق وخاصة انه قد
عاش في عصر فياض بالاضطرابات والأحداث المثيرة ، وهو عصر انحلال

119 - ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج 1 ، القاهرة ، 1317هـ ، ص 94 .

120 - المرجع السابق ، ص 94 .

121 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 134 .

122 - المرجع السابق ، ص 134 .

123 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 56 ، 57 .

الخلافة الأندلسية ، حيث الفوضى الأخلاقية والاجتماعية ، وكانت حكومات الطوائف عبارة عن قصور مترفة ناعمة يسودها أمراء ضعاف في وطنهم ودينهم وانصرف أهل قرطبة اقتناء الجواري الحسان والغلمان فأصبحت الفضائل تنهوى وقيم الإسلام تترنح فههدف ابن حزم هو الإصلاح الديني والخلقي والعقلي والسياسي والاجتماعي وخاصة وان الأخلاق قد تدهورت ، فالأصدقاء تحولوا إلى أعداء ، واستعان بعضهم على بعض بالنصاري ، فانتشرت الفاحشة ، وعمت الماسي والفتن فشرب الخمر ظاهر ، والزنا مباح ، واللوط غير مستور ، ولا ترى إلا مجاهراً بمعصيته " (124)

تلك هي المهمة التي اخذها ابن حزم على نفسه فيقول:

" فأنت تعلم ان ذهني متقلب وبالي مصهر بما نحن فيه من بنو الديار ، والجلاء عن الأوطان ، وتغير الزمان ، ونكبات السلطان ، وتغير الاخوان وفساد الأحوال ، وتبدل الأيام " (125)

ويسترسل فيقول : " انا راج من الله تعالى في ذلك الاجر ليثني في نفع عبادة ، وإصلاح ما فسد من اخلاقهم ، ومداواة علل نفوسهم " (126) .

والحب شعور إنساني وعامل هام من العوامل النفسية التي تشكل بعداً أساسياً في حياة الانسان في علاقته بغيره من الناس ، وكون النفس محورها فالتغير يحصل في عالمها ثم ينعكس على الجسم ويترجم في سلوك ، والحبيب هو الشخص الذي يستطيع أن يلبي هذه الاحتياجات الدفينة .

وقد وضع ابن حزم هذه التغيرات الحاصلة بين المحب والمحبوب دون خروجها عن إطار الاخلاق والدين والعرف الاجتماعي (العادات والتقاليد) .

124 - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 3 ، الدار العربي للكتاب 1983م ص 102 - 106 .

125 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 180.

126 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 334 .

واعتمد في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى .هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (127)

ليس فقط في وحدة الاصل الانساني بشقيه (الذكر والانثى) بل ايضاً اتحاد نفسيهما نوعاً ، وامتزاجهما خلقاً وتكويناً ، وبين النفسين من المشاركة والمجانسة والمثابفة ما بين كل اثنين نابيعين من مصدر واحد ، ثم انفصلا انفصالاً حتمته الضرورة الحياتية لتحل كل واحدة على افراد في بدن تؤدي به وظيفة لا تتحقق الا بوجود الاخرى ، مما ترتب عليه التباين والاختلاف فيما بينهما في الخلق والصورة والشكل والوظيفة الحياتية فيقول :

(وقد اختلف الناس في ماهية الحب وقالوا واطالوا ، والذي اذهبوا اليه إنه اتصال بين اجزاء نفوس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع) (128) لا على ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض المتفلسفين : إن الله جل ثناؤه خلق كل روح مدورة الشكل على هيئة الكرة . ثم قطعها أيضاً ، فجعل في كل جسد نصفاً ، وكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه ، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة . وتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقة طبائعهم . " (129)

وكنتيجة طبيعية لهذا الاتصال الوظيفي تحل كل نفس وتشتاق الى ما يجانسها ويشاكلها ، بل وتسعى مجذوبة بالطبع والغريزة سعياً حثيثاً للاتحاد والاندماج وذلك لحاجة كل منهما للآخرى ، حاجة الشبيهة الى ما يشابهة والمثل الى ما يماثله في وحدة الاصل والخلق وليسكن كل منهما للآخر ، واتصال كل منهما بالآخرى بعد انفصالهما بتلك الضرورة الحياتية يتخذ فيه الحنين والاشتياق طابعاً حركياً تستدعي كل منهما الاخرى .

127 - سورة الاعراف ، الآية 189 .

128 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفة والالاف ، مرجع سابق ، ص 18 .

129 - ابن داود ، الزهرة ، مرجع سابق ، ص 53 - 54 .

يقول ابن حزم " وقد علمنا ان سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال ، والشكل دأباً يستدعي شكله ، والمثل الى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد ، والتنافر في الاضداد ، والموافقة في الانداد ، والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا ، فكيف بالنفس وعالمها الصافي الخفيف ، وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل ، وسنخها ،

المهياً لقبول الاتفاق والميل ، والتوق والانحراف ، والشهوة ، وانفار ، كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الانسان ، فيسكن اليها " (130)

فصح بذلك إن الحب " استحسن روحاني ، وامتزاج نفساني " (131) فيه تمتزج صفات النفوس فإذا حلت في الاجساد ، بقيت تحمل صفات من الاخرى وهذا ناتج عن التشابه والتمازج في الصفات ، فالحب بهذا لا يقع الا لكل محبوب صفة في الاخر توافقه وهذا ما يطلق عليه ابن حزم (بالتشاكل او المشاكلة) ، وقد يقع لواحد من المحبين نسيان للآخر ، فيحب احدهما الآخر ، بينما الآخر يكرهه ، أو لا يحبه ، وقد يقع مع الاثنين معاً فلا يوجد الحب بينهما ابداً ، وقد تبقى النفس نقيه عند المحبين فيقع الحب عنيفاً .

يقول ابن حزم " ان نفس الذي لا يحب من يحبه ، مكتنفه الجهات ببعض الاعراض الساترة ، والحب المحيطة بها من الطبائع الارضية فلم تحس بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة . ونفس المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة ، طالبة له ، قاصدة إليه ، باحثة عنه ، مشتية لملاقاته ، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد بقوة جوهر المغناطيس المتصلة بقوة جوهر الحديد لم تبلغ من تحكمها ولا من تصفيتها أن تقصد الى الحديد على أنه من شكلها وعصرها ، كما أن قوة الحديد لشدتها قصدت الى شكلها وانجذبت نحوه ، إذ الحركة أبداً إنما تكون من الاقوى ،

130 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفة والالاف، مرجع سابق ، ص 18 .

131 - المرجع السابق ، ص 19 .

وقوة الحديد متروكة الذات غير ممنوعة بحابس ، تطلب ما يشبهها وتتقطع اليه وتنهض نحوه بالطبع والضرورة وليس بالاختيار والتعمد . وأنت متى أمسكت الحديد بيدك لم ينجذب ، إذ لم يبلغ من قوته ايضاً مغالبة الممسك له هو أقوى منه . ومتى كثرت أجزاء الحديد اشتغل بعضها ببعض ، واكتفت بأشكالها عن طلب اليسير من قواها النازحة عنها ، فمتى عظم جرم المغناطيس ووازت قواه جميع قوى جرم الحديد عادت الى طبعها المعهود ، وكالنار في الحجر لا تبرز على قوة النار في الاتصال والاستدعاء لجزائها حيث كانت إلا بعد القدح ومجاورة الجرمين بضغطهما واصطكاكهما وإلا فهي كامنه في حجرها لا تبدو ولا تظهر (132) .

ويؤكد ذلك بقوله " إنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية ، لا بد في هذا وإن قل ، وكلما كثرت الاشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة ، فانظر ها هنا تراه عياناً" (133) وبخصوص الموافقة ذكر أفلاطون أن بعض الملوك سجنه ظلماً ، فلم يزل يحتج حتى إظهار برأئه . فقال له وزيره أيها الملك قد استبان انه برئ فمالك وماله .

فقال الملك : لعمرى مالي إليه سبيل ، غير إنني أجد لنفسي استثقلاً لا ادري ما هو ، فأخبر الوزير أفلاطون ، فرد عليه : نظرت في أخلاقه فإذا هو محباً للعدل كاره للظلم ، فميزت هذا الطبع في (بمعنى أظهرت حبي للعدل مثله) فما هو إلا أن حركت هذه الموافقة نفسه وقابلت نفسه بهذا الطبع الذي بنفسه فأمر بإطلاقه وقال لوزيره : قد انحل كل ما احد في نفسي له (134)

وهذا بعينه موجود في البغضة ، ترى الشخصين يتباغضان لا لمعنى ولا علة ، ويستثقل بعضهما بعضاً بلا سبب وقد تتعلق النفس بما يشابهها ، فلا يبحث الانسان في حبه عن الصفات التي يتطلبها العقل لان الانسان قد يحب ما هو دونه او اقل منها اخلاقاً يقول ابن حزم " واما العلة التي توقع الحب ابدأ في أكثر الامر على

132 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 20 .

133 - المرجع السابق، ص 20 .

* - الارواح جنود مجندة . الحديث الشريف البخاري باب الانبياء 2 ومسلم باب البر 159 - 160 .

134 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفه والالاف ، مرجع سابق ، ص 20 - 21

الصورة الحسنة ، فالظاهر ان النفس تولع بكل شئ حسن ، وتميل الى التصاوير المتقنة ، فهي إذا رأت بعضها تثبتت فيه ، فإن ميزت وراءها شيئاً من أشكالها اتصلت وصحت المحبة الحقيقية ، وإن لم تميز وراءها شيئاً من أشكالها لم يتجاوز حبها الصورة ، وذلك هو الشهوة ، وإن للصور لتوصيلاً عجيباً بين أجزاء النفوس النائية " . (135)

ويخلص الى ان "ا الحب داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاناة ، وسقام مستلذ وعلة مشتتة لا يود سليمها البرء ولا يتمنى عليها إلا فاقة ، يزين للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده ، حتى يحيل الطبائع المركبة والجبلة المخلوقة " (136)

135 - المرجع السابق ، ص 21 .
136 - المرجع نفسه ، ص 22 .

وتظهر فلسفة الحب وحقيقته عند ابن حزم من خلال عدة مسائل هي :

1- الحب بين الاختيار والاضطرار .

2- حقيقة الحب وسببه .

3- الفرق بين الحب والشهوة .

4- الحب من أول نظرة .

5- الحب الأول .

6- دوام الوصل هل يذهب بالحب ؟

7- الشجار بين المحبين ؟

8- الحب بلا معصية

وفيما يلي تفصيل لكل منها على حدة

1- الحب بين الاختيار والاضطرار

شغل موضوع الحب حيزاً كبيراً من تفكير الناس وقد اختلف الناس في الحب هل هو اختياري أو اضطراري خارج عن مقدور البشر ، وهل لمشئئة الانسان فيه من تصرف ام انه يقذفه الله في قلب عباده فلا يملك فيه فكاكاً . رغم تأكيد ابن حزم المتكرر علي دور الارادة الشخصية للفرد في اختيار من يحب واختيار الطريق للوصول اليه الا انه يرى في العشق قضاء وقدر فيقول ان للحب علي النفوس حكماً ماضياً وسلطاناً قاضياً، وأمرأ لا يخالف وحدأ لا يعصي، وملكاً لا يتعدى ، وطاعة لا تصرف⁽¹³⁷⁾.

137 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 39

وان الحب اعمى فهو يعمي ويصم ، كما جاء في الحديث (حبك الشئ يعمي ويصم)
(138)

وقال ابو محمد بن حزم : قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها . فقال عمر : ذاك مما لا يملك (139) .

وقال المدائني* : لام رجل رجلاً من أهل الهوى فقال : لو صح لدى هوى اختيار لاختار أن لا يهوى .

وقالت أعرابية : " ليس الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدركه " (141)

ويروى عن يحيى بن معاذ ، وهو من كبار الفقهاء في الدين ، أنه قال : " لو كان إلى من الأمر شي ، ما عذبت العشاق ، لأن ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار " (142)

والرأي يتجه بوضوح نحو القول بان الحب خارج عن ارادة الإنسان ، وليس له فيه يد أو حيلة .

ويدل على ذلك من السنة ما رواه البخاري في صحيحة من قصة بريرة أن زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له وقد صارت أجنبية منه . ودموعه تسيل على خديه . فقال النبي صلعم : " يا عباس ألا تعجب من حُب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً ؟ " ثم قال لها : لو راجعته . فقالت : أتأمرني ؟ فقال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجة لي فيه . ولم ينهه عن عشقها في هذه الحال ، إذ ذلك شئ لا يملك ولا يدخل تحت الاختيار . (143)

138 - رواه الامام احمد في المسند عن ابي الدرداء رضي الله عنه ، حديث رقم (5/194).

139 - الحب عند العرب ، المكتب العالمي للبحوث ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1980م ، ص 44 .

140* ابو الحسن علي بن محمد ، عبد الله بن سيف المدائني ، ولد عام 135هـ ، توفي عام 225هـ ، اشتهر بالاداب والتاريخ ، له

239 كتاب ، ماخوذة من الفهرست ، ص 130

141 - الحب عند العرب ، مرجع سابق ، ص 25 .

142 - المرجع نفسه ، ص 24 .

143 - محمد عفيفي ، موسوعة الحب والجنس ، مرجع سابق ، ص 121 - 122 .

ويرى البعض إنه اختياري تابع لهوى النفس وإرادتها ، بل هو استحكام الهوى الذي مدح الله من نهى عنه نفسه فقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ۞ ١٤٤ ﴾ (144) فمحال أن ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته .

ولاجل هذا إن العشق حركة اختيارية للنفس الى نحو محبوبها . وليس بمنزلة الحركات الاضطرارية التي لا تدخل تحت قدرة العبد .

والرأي التوافقي : مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلية تحت التكليف ، فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري . فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره .

ويرد ابن حزم على ذلك بان هذا الفهم غير صحيح " فبحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيتها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة ؛ وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، إذ القلوب بيد مقلبيها (145) .

والفكرة التي ينطلق منها ابن حزم إن الحب أو العشق من الأمور الفطرية الطبيعية ، وبالتالي هو يخرج عن دائرة الذم العرفي أو الإثم الشرعي ومن كلامه في تقرير هذا المعنى قوله : " وأما أستحسان الحسن " وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، إذ القلوب بيد مقلبيها . ولا يلزمه غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطأ والصواب وأن يعتقد الصحيح باليقين ، وأما المحبة فخلقة ، وإنما يملك الانسان حركات جوارحه المكتسبة (146) .

1- حقيقة الحب وسببه

144 - سورة النازعات ، الايتان 40 - 41 .

145 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفة والالاف ، مرجع سابق ، ، ص 48 .

146 - المرجع السابق ، ص 48 .

يبدأ الحب بالأفتتان والإعجاب والإستحسان والألفة ويحدث تغييراً ظاهرياً ونفسياً ، فتتبدل حالة المحب عما كانت عليه قبل ان يقابل الطرف الآخر ، وهذا ما يشعر به المحب ، ويبدأ التغيير في داخله ويشعر بالحيرة والغرابة لما ينتابه من مشاعر مختلفة ولا يجد إجابة أو تفسيراً مباشراً لتلك الحالة ، فيدخل مرحلة التوافق التي تفسح للأخر مكاناً كبيراً في أعماق نفوسنا ونضع أنفسنا تماماً تحت تصرفه ، وننتقن في خدمة الآخر. ويسعى المحب إلى تأكيد فكرة الإنجذاب ويعمل هذا الشعور على تغيير حال المحب ويقول ابن حزم ومنها أن وجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان يمتنع عن القيام به ، كأنه هو الموهوب له والمسعى في لحظة ، كل ذلك ليبيدي محاسنه ، ويرغب في نفسه ؛ فكم بخيل جاد ، وقطوب تطلق ، وجبان تشجع ، وغلطيظ تطرف ، وجاهل تأدب ، وتقل تزين ، وفقير تجمل ، وذئ سن تقتى ، وناسك تفتك ، ومصون تهتك . (147)

ويستمر التغيير ما دامت حالة المحب قائمة ويتودد المحب لإرضاء محبوبه بشتى الأشكال .

فيقول ابن حزم " ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه ، وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحبه ، وربما يكون المرء شرس الخلق ، صعب الشكيمة ، جموح القيادة ، ماضي العزيمة ، حمي الأنف ، أبي الخسف ، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب ، ويتورط غمره ، ويعوم في بحره ، فتعود الشراسة ليانا ، والصعوبة سهالة والمضاء كلاله ، والحمية استسلاماً . (148)

والمحبة عند ابن حزم " كلها جنس واحد ، ورسمها أنها الرغبة في المحبوب وكرامة منافرته والرغبة في المقارضة منه بالمحبة . وانما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها ، وانما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحسامها " (149) ، أي بما معناه ان الحب واحد عند

147 - المرجع نفسه ، ص 24 - 25 .

148 - ابن حزم طوق الحمامة في الألفة والالاف، مرجع سابق ، ص 54 .

149 - ابن حزم ، رسالة مداواة النفوس، مرجع سابق ، ص 369 .

جميع البشر ولكن الاختلاف بين الافراد يكمن في مدى تمسك هؤلاء بالمبادي والعادات والقيم الاجتماعية السائدة كلاً حسب بيئته ومجتمعه .

وعن بداية الحب يروي لنا ابن حزم قصة عن جارية أشد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء ، وهو لا علم عنده ، وكثر غمها به وطال أسفها إلى أن ضنيت بحبه ، وهو بغيرة الصبا لا يشعر ؛ ويمنعها من إبداء أمرها إليه الحياء منه ؛ لأنها كانت بكرأ بخاتمها ، مع الإجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدري لعله لا يوافق ، تمادى الأمر – وكانا إلفين في النشأة – شكت ذلك إلى امرأة جزلة الرأي كانت تثق بها لتوليها تربيتها ، فقالت لها : عرضي له بالشعر ، ففعلت المرة بعد المرة ؛ وهو لا يأبه في كل هذا . ولقد كان لقنا ذكياً ، ولكنه لم يظن ذلك فيميل إلى تفتيش الكلام بوهمه ، إلى أن عيل صبرها ، وضاق صدرها ، ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين ، ولقد كان – يعلم الله - عفيفاً متصانواً ، بعيداً عن المعاصي ، فلما حان قيامها عنه بدرب إليه فقبلته في فمه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة ، وهي تنهادى في مشيها ، كما أقول في أبيات لي :

كانها حين تخطو في تأودها قضيب نرجسة في الروض مياس

كانما خطوها في قلب عاشقها ففيه من وقعها خطر ووسواس

كانما مشيها مشي الحمامة لا كد يعاب ولا بطء به باس (150)

فبهت ، وسقط في يده ، وفت في عضده ، ووجد في كبده ، وعلته وجمة ، فما هو إلا أن غابت عن عينه ووقع في شرك الردى ، واشتعلت في قلبه النار ، وتصعدت أنفاسه ، وترادفت أوجاله ، وكثر قلقه ، وطال أرقه ، فما غمض تلك الليلة عيناً ، وكان هذا بدء الحب بينهما .

والحب عند بدايته هزل ونهايته جد ومعاناة فسرعان ما تستحيل تلك البداية البسيطة الى حالة أشد تعقيداً يصعب على المحب الانفكاك عنه والتملص منه ، تحمل معانيه

من الدقة والجلالة بحيث يصعب عليك وصفه وحصره في كلمات باعتباره تجربة شخصية داخلية تحمل كل التغيرات ، فيقول ابن حزم واصفاً إياه " الحب أوله هزل وآخره جد ، دقت معانيه لجلالتها عن ان توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة " . (151)

فالمعاناة هي التي تجعل من الحب خبرة ذات فاعلية يكتسب منها الانسان خبرات اخرى تؤثر في النفس وتغيرها دون قصر ، فالحب لا تدرك ماهيته بالفكر ، وإنما تدرك بالتجربة .

وعن مشروعيته يذكر " بأن الحب ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل " (152) .

فهو شيء مباح وليس بالمحرم ، فلا يأتى من أحب إلا إن هناك بعض الضوابط الشرعية التي لا يجوز الخروج عنها معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله ، فالإسلام كدين وكشريعة سمحه لم يحرم الحب بحد ذاته كمشاعر وعواطف ، بل حرم العلاقة التي تحدث بين المحبين خارج نطاق الشريعة، وهذا ما أستند عليه ابن حزم في تفسير معنى الحب .

ومما قال في ذلك :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
وساكت
وسيان عندي فيك لاح

يقولون جانببت التصاون جملة
قانت
وأنت عليهم بالشريعة

فقلت لهم هذا الرياء بعينه
ما قت
صراحا وربى للمرائين

151 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 17 .
152 - المرجع السابق، ص 17 .

متى جاء تحريم الهوى عن محمد

وهل منعه في محكم

الذكر ثابت

إذا لم أواقع محرماً أتقى به

مجيئني يوم البعث

والوجه باهت

فلست أبالي في الهوى قول لائم

سواء لعمرى جاهر أو

مخافت

وهل يلزم الانسان إلا اختياره

وهل بخبايا اللفظ يؤخذ

صامت (153)

وقد أحب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير ، منهم بأندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعاء ، والحكم بن هشام وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس ، ومحمد بن عبد الرحمن وأمره مع غزلان أم بنيه عثمان والقاسم والمطرف معلوم ، والحكم المستنصر وافتتانه بصبح أم هشام المؤيد بلله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتاعه عن التعرض للولد من غيرها " (154)

يقول ابن حزم في مقدمة الطوق (والذي كلفنتي فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي ، وأدركته عنايتي ، وحدثني به الثقات من أهل زمانى ، فاعنقر لى الكناية عن الاسماء فهى إما عورة لا نستجيز كشفها ، وإما نحافظ فى ذلك صديقاً ودوداً ، ورجلاً جليلاً ، وبحسبى أن أسمى من لا ضرر فى تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب فى ذكره ، إما لاشتهار لا يغنى عنه الطى وترك التبیین ، وإما لرضى من المخبر عنه بظهور خبره وقلة إنكار منه لنقله ، (155) " ولولا أن حقوقهم على المسلمين واجبه – وإنما يحب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء

153 - المرجع نفسه ، ص 48 .

154 - ابن حزم ، طوق الحمامة فى الالة والالاف، مرجع سابق ، ص 17 .

155 - المرجع السابق ، ص 15 .

الدين ، وإنما هو شي كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم - لاوردت من أخبارهم في هذا الشأن غير قليل " (156).

ويرى ابن حزم إن للمحبة أنواع مختلفة وأفضلها : محبة المتحابين في الله عز وجل ، إما لاجتهاد في العمل ، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب ، وإما لفضل علم يمنحه الانسان ، ومحبة القرابة ، ومحبة الالفة في الاشتراك في المطالب ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه ويلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرناه من اتصال النفوس .

فكل هذه الاجناس منقضية مع انقضاء عللها ، وزائدة بزيادتها ، وناقصة بنقصانها متأكدة بدنوها فاترة ببعدها ، حاشا محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت " فصح بذلك إنه إستحسان روحاني وإمتزاج نفساني (157).

وليست علة محبة العشق حسن الصورة الجسدية لانه لو كانت هي العلة لوجب إلا إستحسن العاشق الانقص من الصور رغم إننا نرى كثيراً من العشاق يميلون إلى إستحسان الصور الانقص والاقل جمالاً فيقول " ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الأدنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محيداً بقلبه عنه ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه " (158)

فعلمنا من ذلك إن محبة العشق هي اتصال نفساني بين أجزاء النفوس المقسومة بين الخلق ومن الدليل على هذا إنك لا تجد أثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة وإتفاق في الصفات الطبيعية ، وكلما كثرت الاشباه زادت المجانسة ، وتأكدت المودة والرسول

156 - المرجع نفسه ، ص 17 .

157 - المرجع نفسه ، ص 19 .

158 المرجع السابق ، ص 19 .

صلى الله عليه وسلم يقول : " الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تتاكر منها اختلف " (159) .

ولا يرى بعد التوافق شرطاً آخر لتبادل الحب مثل الجمال أو التشابه في المزاج ، فيقول إذا كانت علة محبة العشق هي الاستحسان الروحاني والامتزاج النفساني إذن نفس العاشق والمعشوق مشتركان في ذلك فكيف يحب الإنسان من لا يحبه ؟

يجيب ابن حزم على هذا التسأل فيقول " لان نفس الذي لا يحب من يحبه مكتتفة الجهاد ببعض الأعراض الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الارضية فلم تحس بالجزء الذي متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة " (160) .

ويضرب على ذلك مثلاً بالمغناطيس والحديد ، فالمغناطيس يجذب الحديد ، والحديد بطبعه يجذب نحو المغناطيس ولكن متى أمسك الإنسان الحديد لا يجذب نحوه المغناطيس لان قوة الممسك أقوى من قوة الانجذاب في الحديد وكذلك النفس الإنسانية وفي توضيحه لفكرة الاتفاق والمشاركة في الصفات الطبيعية يورد ابن حزم قصتين :

الأولى عن بقراط حين وصف له رجل من أهل النقصان يحبه ، ف قيل له ذلك فقال : ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه .

والثانية وذكر أفلاطون أن بعض الملوك سجنه ظلاماً ، فلم يزل يحتج عن نفسه حتى أظهر برأته ، وعلم الملك أنه له ظالم ، فقال له وزيره الذي كان يتولى إيصال كلامه إليه : أيها الملك ، قد استبان لك أنه بري فما لك وله ؟ فقال الملك : لعمرى ما لي إليه سبيل غير أنني أجد لنفسي استقلالاً لا أدري ما هو . فادي ذلك إلى أفلاطون . قال : فاحتجت أن أفتش في نفسي وأخلاقي شيئاً أقابل به نفسه وأخلاقه مما يشبهها ، فنظرت في أخلاقه فإذا هو محب للعدل كاره للظلم ، فميزت هذا الطبع في ، فما

159 - الارواح جنود مجندة . الحديث الشريف البخاري باب الانبياء 2 ومسلم باب البر 159 - 160

160 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف ، مرجع سابق ، ص 20 .

هو إلا أن حركت هذه الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع الذي بنفسه فأمر بإطلاقي
وقال لوزيره : قد انحل كل ما أجد في نفسي له . (161)

أما عن درجات المحبة فيذكر :

1- أولها الاستحسان وهو ان يتمثل الناظر المنظور اليه حسنه او
سيحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصديق .

2- الاعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور اليه وفي قربيه .

3- الالفة وهي الوحشة الى المحبوب اذا غاب .

4- الكلف وهو عليه شغل البال به ، وهذا النوع يسمى في باب الغزل
بالعشق .

5- الشغف وهو امتناع النوم والاكل والشرب الا ليسير من ذلك وربما
ادى ذلك الى المرض ا والى التوسوس أو الى الموت . وليس وراء هذا
منزله في تناهي المحبه اصلاً . (162)

يمكننا من خلال ما تم عرضه أن نخلص إلى أن الحب عند ابن حزم هو شعور أوله
هزل وآخره جد ، تحمل معانيه من الدقة والرقّة بحيث يصعب وصفه ، فلا تدرك
حقيقته إلا بالمعاناة والتجربة لكونه تجربة شخصية ذاتية .

وهو اتصال بين أجزاء النفوس في أصل عنصرها الرفيع وإن سر التمازج والتباين
في المخلوقات إنما هو في الإتصال والانفصال ، فالحب شيء في ذات النفس ،
فالحب لا يقف على الحسن والجمال وإنما هو تشاكل النفوس وتمازجها في الطباع .

161 - المرجع السابق ، ص 20 - 21 .

162 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 374 .

" والحب داء عياء وفيه الدواء على قدر المعاناة " (163)، أي إن الشفاء منه على قدر معاملة المحب لمحبيه وهو مرض يشتهي الإنسان لأنه يساعد على الحياة وبدونه لا قيمة للإنسان على ظهر الأرض ، ولا يرغب ولا يود السليم منه البرء منه ولا الشفاء منه ولا يحب المحب أن يسمع من ينصحه في أمر المحبوب لما يزين المرء من راحة بال ، ويدفعه لعمل كل ما كان بوسع ويبيت فيه الشجاعة والنشاط ويحاول أن يعمل كل ما كانت نفسه ترفضه ، لأن للحب حكماً على النفوس ماضياً وله القدرة على تغيير الحال والصفات والطبائع فيقول " واعلم أعزك الله أن للحب حكماً على النفوس ماضياً ، وسلطاناً قاضياً ، وأمرأ لا يخالف ، وحداً لا يعصى ، ومكماً لا يتعدى ، وطاعة لا تصرف ، ونفاذاً لا يرد ، وأنه ينقض المرر ، ويحل المبرم ، ويحل الجامد ، ويخلخل الثابت ، ويحل الشغاف ، ويحل الممنوع " (164) ،

ويقول ابن حزم :

" ولقد علمت فتى من بعض معارفي قد وحل في الحب وتورط في حبائله ، وأضر به الوجد ، وأنصبه الدنف ، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء إلى الله عز وجل في كشف ما به ولا ينطق به لسانه ، وما كان دعاؤه إلا بالوصل والتمكن ممن يحب ، على عظيم بلائه وطويل همه ، فما الظن بسقيم لا يريد فقد سقمه ؟ ولقد جالسته يوماً فرأيت من اكتتابه وسوء حاله وإطراقه ما ساءني ، فقلت له في بعض قولي : فرج الله عنك فلقد رأيت أثر الكراهية في وجهه ؛ وفي مثله أقول من كلمة طويلة :

وأستلذ بلائي فيك يا أُملي
ولست عنك مدى الأيام
أنصرف

إن قيل لي تتسلى عن مودته
فما جوابي إلا اللام
والألف (165)

163 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق، ص 22 .

164 - المرجع السابق، ص 39 .

165 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 22 - 23 .

(وفي أن دواء المحبين في كمال الوصال الذي أباحه رب العالمين فقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل داء دواء . ويسر الوصال إلى ذلك الدواء شرعاً وقدرأ . فمن أراد التداوى بما شرعه الله له ، واستعان عليه بالقدر وأتى الأمر من بابه ، صادق الشفاء ، ومن طلب الدواء بما منعه منه شرعاً وإن امتحنه به قدرأ فقد أخطأ طريق المداواة . وكان كالمتداوى من داء بداء أعظم منه . وقد تقدم حديث طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لم ير للمتحابين مثل النكاح " (166)

ويرفض ابن حزم الحب العذري بمعنى أن يبقى الحب مجرد علاقة من أجل ذاتها حيث يتألم المحب ويفرح وتبقى هذه العلاقة قائمة على فكرة الاستحسان المجرد ويرفض ابن حزم هذا المفهوم بشدة لأن الحب عنده وسيلة وغاية في ذاته ، أما من حيث أنه وسيلة فهو وسيلة للزواج والسعادة ، ومن حيث أنه غاية ، يجب أن يكون الحب نمطاً إنسانياً رفيعاً وأصر بشكل واضح على أن يكون عفيفاً تحت كل الظروف حتى يصل إلى الزواج .

وغاية الحب عند ابن حزم هي الزواج بإعتباره قمة السعادة بين المحبين ذلك أنه بمثابة إنتقال المحب لمشاركة المحبوب في الجسد ، بعد إن كانت مشاركة الروح ، والجسد يوصل إلى الروح " نوعاً من الظماً (كان يقلقها ، فالمحب كان يسعى إلى داخل الآخر الذي أرتبط به ، ويسعى الى الاتحاد به وإلى وصله لذلك " فأقصى أطماع المحب ، ممن يحب المخالطة بالأعضاء ، إذا رجا ذلك (167) .

والحب عند ابن حزم يبدأ بتدريج الى أن يتمكن من قلب صاحبه وهذا نهج ابن حزم في الحب .

فيقول " وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذي معه في كل جد وهزل " (168) لأن ما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً

166 - رواه ابن ماجه ، والحاكم وصححه الالباني ، في صحيح الجامع رقم (5200) .

167 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 369 .

168 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 36 .

وهذا مذهبه وقد جاء في الاثر إن الله عز وجل قال للروح حين أمره أن يدخل جسد آدم ، وهو فخار ، فهاب وجزع . ادخل كرهاً وخرج كرهاً .

ومن خلال ما تم ذكره يمكننا أن نقول إن ابن حزم يؤصل لمفهوم الحب في القلب ويعلمنا إن القلب ليس بملك لك ولا بد أن نحافظ عليه .

3- الفرق بين الحب والشهوة

كثر ما يتبادر لدي الكثير ما إذا كان حسن المحبوب الخارجي ، أو شكله أو جمال جسمه ، هو الباعث على الحب ، الكامن وراء العشق ، وعن الجمال ومدى تأثيره في القلوب والنفوس هل هو جمال الوجه وحسنه وبديع صنعه وتكوينه ، وجاذبية العيون وسحرها ، وروعة التنسيق في القوام ، أم رقة الروح وعذوبتها ، ولطف الحديث وجمال العبارة ، ورنة الصوت ونغمه ، أم طيب الخلق ولين الجانب ، وحسن العشرة وتناسق الطباع وأنشراح القلب .

ومن المتعارف ان الجمال نوعين ، جمال ظاهري يبدو طافحا طافيا متألقا ، لا يصعب إدراكه ، مع اختلاف مقاييسه .

وجمال باطني كامن في الحنايا والثنايا ، كاللؤلؤ المكنون في صدقاته ، لا يمكن إدراكه وتحسسه إلا بالغوص والجهد .

ويجيب ابن حزم على هذا التساؤل المطروح فيقول ان الجمال الباطني هو الباقي والمستمر وهو الذي يؤثر في القلب لان الحب عنده يبقى حتى بعد فناء الاجساد والصور ، فهو شي كامن في النفوس بقصيدة يؤيد بها الجمال الباطني فيقول :

وأعذل في إجهاد نفسي في الذي	أريد وأني فيه أشقى وأتعب
هل اللؤلؤ المكنون والدر كله	رأيت بغير الغوص في البحر
يطلب	

واصرف نفسي عن وجوه طباعها
إذا في سواها صح ما أنا أرغب
(169)

وقد يكون الجمال موفراً لكنه ناقص الشعور به فتضعف محبته لذلك ، فلو كشف له عن حقيقته لأسر قلبه ، ولهذا أمر النساء بستر وجوههن عن الرجال ، فإن ظهور الوجه يسفر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان ، ولهذا شرع للخاطب أن ينظر الى المخطوبة ، فإنه إذا شاهد حسناتها وجمالها كان ذلك أدعى الى حصول المحبة ، والألفة بينهما كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : " إذا أراد أحدكم خطبة امرأة فلينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما " (170) .

وقد ذكر ابن حزم في رسالته (مداواة النفوس) بعض المصطلحات التي تتعلق بجمال المحبوب فمنها : الحلاوة وهي دقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الاشارات وقبول النفس لأعراض الصورة وان لم تكن هنالك صفات ظاهرة .

أما الروعة فهي بهاء الأعضاء الظاهرة (مع جمال فيها) . وهي أيضاً الفراهة والعنق .

وأما الحُسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به غيره ، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق (كل) من رآه ، وهو برد مكسو على الوجه واشراق يستميل القلوب نحوه ، فتجتمع الآراء على استحسانه وان لم يكن هنالك صفات جميلة ، فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله ، حتى إذا تأملت الصفات افراداً لم تر طائلاً ، وكأنه شيء في نفس المرئي تجده نفس الرائي ، وهذه أجل مراتب الصبابة . ثم تختلف الأهواء بعدها ، فمن مفضل للروعة ، ومن مفضل للحلاوة . وما وجدنا أحداً قط يفضل القوام المنفرد ، والملاحة هي إجتماع شي بشي مما ذكرنا . (171)

169 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الألفة والالاف، مرجع سابق ، ص 81 .
170 - صحيح ، الترمذي (1087) في النكاح عن المغيرة بن شعبه ولفظة ، " انظر اليها فإنه أحرى ان يؤدم بينهما " .
171 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس، مرجع سابق ، ص 375 - 376 .

ويؤكد بأن " الحب شي في ذات النفس (172) " وليست علته حسن الصورة الجسدية ولا الموافقة في الاخلاق ، لان النفس الانسانية من طبيعتها جميلة وتتجذب الى التصاوير الجميلة وتميل اليها ، " وأما العلة التي توقع الحب أبداً في أكثر الامر على الصورة الحسنة ، فالظاهر أن النفس تولع بكل شي حسن ، وتميل الى التصاوير المتقنة ، فهي إذا رأت بعضها تثبتت فيه ، فإن ميزت وراءها شيئاً من أشكالها اتصلت وصحت المحبة الحقيقية ، وإن لم تميز وراءها شيئاً من أشكالها لم يتجاوز حبها الصورة ، وذلك هو الشهوة ؛ وإن للصور لتوصيلاً عجباً بين أجزاء النفوس النائية. (173)

ويفرق ابن حزم بين الحب والشهوة بقوله : " وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي ، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة ، فإذا فضلت الشهوة ، وتجاوزت هذا الحد ووافق الفضل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس ، تسمى عشقاً ومن هنا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ، ويعشق شخصين متغايرين ، فإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرناها أنفأ ، وهي على المجاز تسمى محبة لا على التحقيق . (174)

وهذا الاستحسان يعود الى خاصية نفسية بحته وهي إن النفس خيرها في ذاتها ، لا ترتبط إلا لابل كل صور الكمال .

والجمال إحد معايير الكمال لان القبح نقص في الخلقة ، وتنفر منه النفس ، وفي بحثها عن الجمال فهي تعود الى صفة في ذاتها لان الحسن " هو شي ليس له في اللغة أسم يعبر عنه غيره ، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد مكسو على الوجه ، واشراق يستميل القلوب نحوه ، فتجتمع الاراء على استحسانه ،

172 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 19 .

173 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 21 .

174 - المرجع السابق ، ص 37 - 38 .

وان لم تكن هناك صفات جميلة ، فكأنه شي في نفس المرئي ، تجده نفس الرائي ، وهذا أجل مراتب الصباحة ، لان كل من رآه ، راقه ، واستحسنه وقبله " (175)

ويخلص ابن حزم الى التفريق بين الحب للمعنى الروحي ، والحب للشهوة حيث ارجع الاول الى المشاكل النفسية والاتفاق في الميول والطباع ، والثاني فلا سبيل له إلا الاستحسان الجسدي والجمال الخلقي الذي يعتمد على الصورة والمظهر والخارجي وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة وان النفس خيره وجميلة في طبيعتها وإن حسن الشكل أعجز من أن يفسر الحالات الغرامية جملةً وتفصيلاً .

4- الحب من أول نظرة :

وأما الحب من أول نظرة فأبن حزم لا يؤمن به ويقول عن ذلك " واني لاطيل العجب من كل من يدعي انه يحب من نظرة واحدة ، ولا اكاد اصدقه ، ولا أجعل حبه الا ضرباً من الشهوة ، وأما أن يكون في ظني متمكناً من صميم الفؤاد ، نافذاً في حجاب القلب فما أقدر ذلك ، وما لصق باحثائي حب قط الا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ واخذي معه في كل جد وهزل (176) .

وهنا إشكال يرد علي ابن حزم وهو انه قد قرر فيما مضى ان سر الحب وحقيقته في ذلك الاتصال الروحاني ، والامتزاج النفساني ، فالمذي يمنع ان يقع الاتصال بين الارواح المتعارفة والنفوس المتألفة من أول نظرة .

يجيب ابن حزم علي هذا الاشكال بقوله (ولا يظن ظان ولا يتوهم متوهم ان كل مخالف لقولي المسطر في صدر الرسالة ، ان الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي ، بل هو مؤكد له فقد علمنا ان النفس في هذا العالم الادني قد غمرتها الحجب ، ولحققتها الاعراض واحاطت بها الطبائع الارضية الكونية) (177).

175 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس ، مرجع سابق ، ص 54 - 55 .

176 - ابن حزم ، طوق الحمامة الالفة والالف ، مرجع سابق ، ص 36 .

177 - المرجع السابق ، ص 37.

ومعنى كلام ابن حزم ان الاتصال بين النفوس المتوافق لا يحتل من اول نظرة بل هو يحتاج الي زمن تتكشف فيه الحجب وتزول فيه الطبائع التي اكتتفت النفس الانساني حتي تنهيا النفس للاتصال والامتزاج مع الموافق لها .

واما الذي يقع من أول نظرة فهو ليس الحب ، ولكنه الاستحسان الذي لا يتجاوز معنى الشهوة.

5- الحب الأول:

السؤال الذي يطرح نفسه هل صحيح إن الحب الأول لا ينسى ويعيش مع الإنسان ما ترددت الحياة في جسده أم انه مجرد وهم زائل أم خبرة باقية الأثر وهل يستطيع الإنسان أن يحب أكثر من مرة ؟

وعن تاثير الحب الاول في نفس الانسان وهو تأثير عجيب كونه أول إحساس بمشاعر الحب لشخص ما ، لا تعرف عنه شي سوى انه يمثل لك أهمية بالغة وتجد متعه في لقائه وتتبع اخباره دون ان تحاول حتى الحديث معه او التعرف عليه عن قرب وعادة ما يكون الحب الاول مليان بالاندفاع العاطفي والرغبة في التواجد مع الطرف الاخر من أخص ضرورياته ودون أي تفكير عقلائي .

ويحكي لنا ابن حزم تجربته الشخصية مع الحب الأول فيقول (وعني اخبرك أنني احببت في حياتي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسننت من ذلك الوقت سواد الشعر ، ولو أنه علي الشمس او علي صورة الحسن نفسه ، وأني لأجد هذا في اصل تركيبي من ذلك الوقت لا تواتيني نفسي علي سواه ، ولا تحب غيره البتة) (178)

فرب انسان احب صفة في محبوبه الأول ، فلم يتحسن بعدها غيرها مما يخالفه وإن كانت المخالفة الي الأفضل والأحسن ويروي ابن حزم عن ذلك حكايات عرفها

178- ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 40

بنفسه فيقول " واني لاعرف من كان في جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن اقيد ولا غيداء بعد ذلك " (179)

واعرف من كانت اول علاقته بجارية مائلة الي القصر فما احب طويلة بعد هذا ، واعرف ايضاً من هوى جارية في فمها فوه لطيف فلقد كان يتقذر كل فم صغير ويزمه ، ويكره الكراهة الصحيحة (180).

ويقول ايضاً إن هؤلاء الذين حكى عنهم ليسو ممن قل حظهم من العلم والأدب بل هم أوفر الناس في العلم والإدارك والفهم والأدب ولكن للحب حكمه علي النفوس (181).

6- دوام الوصل هل يذهب بالحب:

ينكر ابن حزم بان دوام الوصل يذهب بالحب فالحب الحقيقي دوام الوصل يزيده ولا ينقصه ويقويه ولا يضعفه فكيف يقال أنه يذهب بالحب ؟.

ويقول : " ومن الناس من يقول : أن دوام الوصل يؤدي بالحب ، وهذا هجين من القول ، إنما ذلك لاهل الملل ، بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً (182) ، وعني اخبرك أنني ما رويت قط من ماء الوصل ، ولا زادني إلا ظمأً ، وهذا حكم من تداوى بدائه ، وإن رفه عنه شيئاً ما . ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الانسان وراءها مرمى ، فما وجدتني إلا مستزيداً ، ولقد طال بي ذلك فما احسست بسامة ولا رهقتني فتره . (183)

ويشترط في وصل المحبوب على الحال الذي يرضي الرب مع التكافؤ في المحبه بين الطرفين ، وسعة الرزق وهدوء الزمان من اعظم النعم ولكنه عطاء لا يحصل لجميع الناس .

179 - المرجع السابق ، ص 39.

180 - المرجع نفسه ، ص 39

181 - المرجع السابق ، ص 37

182 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف ، مرجع سابق ، ص 75 .

183 - المرجع السابق ، ص 75 .

ويؤكد: " وما في الدنيا حالة تعدل محبين إذا عدما الرقباء وأمنا الوشاة ، وسلما من البين ، ورغبا عن الهجر ، وبعدا عن الملل ، وفقدا العذال ، وتوافقا في الاخلاق ، وتكافيا في المحبة ، وأتاح الله لهما رزقاً داراً ، وعيشاً قاراً ، وزماناً هادياً ، وكان اجتماعهما على ما يرضي الرب من الحال ، وطالت صحبتتهما ، واتصلت الى وقت حلول الحمام الذي لا مرد له ولا بد منه ، هذا عطاء لم يحصل عليه أحد ، وحاجة لم تقض لكل طالب . (184)

وعن نفسه يقول : " ولقد جربت اللذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للدنو من السلطان ، ولا للمال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الاوبة بعد طول الغيبة ، ولا الامن من بعد الخوف ، ولا التروح على المال ، من الموقع في النفس ما للوصل ، ولا سيما بعد طول الامتناع ، وحلول الهجر . (185)

ثم يوضح قائلاً : ولقد سألني يوماً أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كوني بالمدينة ، وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه : إذا كرهه من أحب لقائي وتجنب قربي فما اصنع ؟ قلت : أرى أن تسعى في إدخال الروح على نفسك بلقائه وإن كره . فقال : لكني لا أرى ذلك بل أوتر هواه على هواي ومراده على مرادي ، وأصبر ولو كان في ذلك الحنف . فقلت له : إني إنما أحببته لنفسي ولا لتذاذها بصورته فأنا أتبع قياسي وأقود أصلي وأفقر طريقتي في الرغبة في سرورها ، فقال لي : هذا ظلم من القياس ، أشد من الموت ما تمنى له الموت ، لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً ، ولو أمكنك ألا تبذلها لما بذلتها ، وتركك لقاءه اختيار منك أنت فيه ملوم لإضرارك بنفسك وإدخالك الحيف عليها . فقال لي : أنت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت إليه ، فقلت له : إذا كان صاحبه مؤوفاً ، فقال : وأي أفة أعظم من الحب ؟ . (186)

184 - المرجع نفسه ، ص 76 .

185 - المرجع السابق ، ص 72 .

186 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف ، مرجع سابق ، ص 58 .

7- الشجار بين المحبين هل ينافي الحب

ومن نظرات ابن حزم الثاقبة أنه يرى من علامات الحب التي تقع بين المتحابين كثرة الشجار حيث قسم علامات الحب الى قسمين :

1- علامات التوافق مثل الاقبال بالحديث والاضطراب عند سماع اسم المحبوب والحرص على الدنو والقرب من المحبوب وادمان النظر وغيرها من العلامات الاخرى فالعدالة فضيلة بين رذيلتين بين الافراط والتفريط فالشجاعة مثلاً بين التهور والخبين والكرم بين التبذير والتقطير والوسط الاعتدال المثالي .

2- علامات التضاد : فالافراط في الحب يؤدي الى ظهور علامات مضادة مثل كثرة التهاجر بين المحبين بلا سبب ولا معنى والتحسس من الاشياء الصغيرة ، والمخالفة في القول عمداً .

ويفسر ذلك بان الاشياء إذا بلغت منتهاها جاءت بالاضداد ، ووقفت في إنتهاء حدود اختلافها تشابهت " فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعل النار ، ونجد الفرح إذا أفرط قتل ، والغم إذا أفرط قتل ، والضحك إذا كثر واشتد أسال الدمع من العينين " (187) .

ويقول ابن حزم ايضاً " لو قال قائل ان في الطبائع مزية كرية لان أطراف الأضداد تلتقي ، لم يبعد من الصدق . وقد نجد نتائج الأضداد تتساوى ، فنجد المرء يبكي من الفرح ومن الحزن ، ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات ، وقد يكون ذلك سبباً للقطيعة عند من عدم الصبر والانصاف " (188) .

ويفرق ابن حزم بين شجار المحبين وشجار المتباغضين وذلك الفرق هو شجار المتحابين فسرعان ما يزول ويتلاشى ويرجعان الى أجمل الصحبة فيقول " وإذا

187 - المرجع السابق ، ص 25 - 26 .

188 - ابن حزم ، السير في مداواة النفوس، مرجع سابق ، ص 402 .

رأيت هذا من اثنين فلا يخالـجك شك ولا يدخلـنك ريب البتة ولا تتـمار في أن بينهما
سراً من الحب دفيناً " (189)

8- الحب بلا معصية

الحب الحقيقي عند ابن حزم علاقة روحية لا تنفصم عراها، فهو اتصال بين النفوس
وتألف بين الأرواح وعلاقة بهذا السمو يجب المحافظة عليها وصيانتها بالعفاف ،
البعد عنها عن المعصية والرذيلة ، لان المعصية تقسد العلاقة بين المتحابين في
الدنيا ، وتقطعها في الآخرة .

والعفة : هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود
الذي هو تقريطها ، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة . (190)

فالمعصية تشين الحب وتقسده، لان الحب الحقيقي عنده علاقة روحية في ذات
النفوس فهو اتصال بين النفوس وتألف بين الأرواح ، ولكي نسمو بهذه العاطفة يجب
أن نحافظ عليها ونصونها بالعفاف ونبتعد عن ارتكاب المعصية والرذيلة لان
المعصية تقسد العلاقة بين المتحابين في الدنيا وتقطعها في الآخرة . الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (191) .

ويروي ابن حزم عن نفسه في أول شبابه إنه أمتنع من دخول دار كان فيها من
يهوى خوفاً على دينه ويؤكد ذلك بقوله : ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار
خوفاً على لبي أن يزدهيه الاستحسان ؛ ولقد كانت هي وجميع أهلها ممن لا تتعدى
الأطماع إليهن ، ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل ، وفي ذلك أقول :

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن

189 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الألفة والالاف، مرجع سابق ، ص 26 .

190 - التعريفات ، الجرجاني، ط 1، 1987 ، ص 196 .

191 - سورة الزخرف ، الآية 67 .

ويذكر في فصل التعفف " ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة ، وألا يرغب عن مجازاة خالقة له بالنعيم في دار المقامة ، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لأمره ونهييه ، وأرسل إليه رسله ، وجعل كلامه ثابتاً لديه ، عنايةً منه بنا وإحساناً إلينا " (193)

192 - ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفه والالاف، مرجع سابق ، ص 140 .
193 - المرجع السابق ، ص 159 .